

إصلاحات مصطفى كمال (تركيا بين التحديث والتغريب) (The Reforms of Mustafa Kamal "Turkey between westernization and Modernization)

د. هنادي زعل مسعود الهنداوي*	د. محمد سعيد عثمانة
وزارة التربية والتعليم (الأردن)	وزارة التربية والتعليم (الأردن)
hanadi.hindawi@yahoo.com	البريد الإلكتروني

تاريخ الاستلام: 2021/11/06 تاريخ القبول: 2023/03/10

الملخص:

يتناول هذا البحث إصلاحات مصطفى كمال ومساعدته، لإحداث العديد من التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والقانونية داخل المجتمع التركي، بهدف تحويل جمهورية تركيا الى دولة حديثة تشابه أوروبا شكلاً ومضموناً، وأصبحت سياساته ونظرياته معروفة باسم الكمالية. تطرقت الدراسة إلى استراتيجية أتاتورك في تغريب المجتمع التركي وضمها إلى الاتحاد الأوروبي، متبعاً في ذلك العديد من السبل، كان أهمها بالنسبة له إلغاء الخلافة الإسلامية، وإرساء القوانين الأوروبية، وتغريب التعليم، وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية، بدلاً من الحروف العربية، كذلك سعى أتاتورك إلى تشجيع الرأسمالية المحلية في الصناعة والزراعة والتجارة، وأيضاً لم يسلم النظام السياسي والجيش في تركيا من التحديثات، وصولاً إلى الدولة التركية الحديثة التي أرادها أتاتورك.

منهجية الدراسة: استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والذي يجمع بين التفسير، والاستنباط، والنقد، والتعبير عنها بهدف الوصول إلى استنتاجات. من خلال تحليل مفهوم كل من التحديث، التغريب وأهميتهما، واستخلاص دور الإصلاحات التي قام بها أتاتورك في تحول جمهورية تركيا إلى دولة علمانية.

أهداف الدراسة ونتائجها: الوصول إلى التغييرات التي طرأت على المجتمع التركي في جميع جوانب الحياة، والتي كانت نسخة مشابهة لتجربة البلدان الأوروبية، وتشكيل الدولة المطلقة مع إعادة إنتاج الاستبداد دون تحقيق أهداف الحركة الإصلاحية الدستورية حول سيادة القانون والبرلمان والمشاركة السياسية للشعب، الأمر الذي جعل هذه الحكومة المطلقة أنموذجاً للحكم الدكتاتوري الاستبدادي.

الكلمات المفتاحية: مصطفى كمال، الإصلاحات، التحديث، التغريب، العلمانية

Abstract:

This research deals with the reforms of Mustafa Kemal and his efforts to bring about many political, economic, social, cultural, religious and legal changes within Turkish society, with the aim of transforming the Republic of Turkey into a modern state that resembles Europe in form and content, and his policies and theories became known as Kemalism.

The study dealt with Ataturk's strategy of alienating Turkish society and joining it to the European Union, following many methods, the most important of which was for him the abolition of the Islamic caliphate, the establishment of European laws, the alienation of education, and the writing of the Turkish language in Latin letters, instead of Arabic letters, Ataturk also sought To encourage local capitalism in industry, agriculture and trade, and also the political system and the army in Turkey were not spared from modernization, leading to the modern Turkish state that Ataturk wanted.

Study methodology: The study used the analytical descriptive approach, which combines interpretation, deduction, criticism, and expression in order to reach conclusions. By analyzing the concept of modernization, westernization and their importance, and deducing the role of the reforms carried out by Atatürk in transforming the Republic of Turkey into a secular state.

Study objectives and results: Access to the changes that occurred in Turkish society in all aspects of life, which was a copy similar to the experience of European countries, and the formation of an absolute state with the reproduction of tyranny without achieving the goals of the constitutional reform movement on the rule of law, parliament and the political participation of the people, which made this Absolute government is a model of authoritarian dictatorship.

Keywords: Mustafa Kemal, reforms, modernization, Westernization, secularism.

1. مقدمة:

تتناول هذه الدراسة تطور الأحداث التي أدت إلى إعلان الجمهورية التركية، وقيام الدولة التركية الحديثة، والسياسية القومية العلمانية المتطرفة التي تبناها مصطفى كمال، مؤسس الدولة، والمسؤول الأول والأخير عن التحولات السياسية، الدينية، الثقافية والفكرية، القانونية والاقتصادية، التي حدثت في تركيا، واستهدفت التحديث والتغريب الكاملين للدولة والمجتمع. حيث قاد مصطفى أتاتورك حرب التحرير والاستقلال في تركيا، ونجح في تخليص تركيا من الاحتلال الأجنبي سياسياً واقتصادياً، وخلصها من ماضيها، والاتجاه بها نحو التحديث والتغريب.

شهدت تركيا سلسلة من التغيرات والتحولات التي قام بها مصطفى كمال، وقام بتنفيذها وفقاً للأيدولوجية الكمالية وشهدها المجتمع التركي خلال فترة حكمه (1923 – 1938م)، متخذاً أوروبا النموذج مضموناً وشكلاً للتغيرات التي أحدثها في تركيا. وتتطرق الدراسة إلى حياة مصطفى كمال، ونشأته وحياته ومراحل دراسته ومسيرته العسكرية، وموقفه من الإسلام واللغة العربية، على اعتبار أن الإسلام عاملاً من عوامل ضعف الشعب التركي وتخلفه، وغيرها من الإصلاحات التي سأحدث عنها بشيء من التفصيل في ثنايا البحث.

محاور البحث:

أولاً: مصطفى كمال أتاتورك حياته ونشأته (1881م – 1938م).

ثانياً: التعريف بمنهجية مصطفى كمال أتاتورك.

ثالثاً: أهم إصلاحات مصطفى كمال أتاتورك (السياسية، الدينية، الثقافية والفكرية، القانونية والاقتصادية)

رابعاً: الخاتمة

خامساً: قائمة المراجع

2. مصطفى كمال أتاتورك حياته ونشأته (1881 – 1938م):

1.2 مولده ونشأته:

ولد مصطفى كمال في شتاء سنة (1881م) في الحي التركي في مدينة سالونيك، الواقعة بإقليم الروملي بالدولة العثمانية، و تقع الآن في بلاد اليونان، والده علي رضا أفندي الموظف البسيط بإحدى دواوين الحكومة لصندوق الدين العثماني، كما عمل في مصلحة الجمارك، و في المكتبة الملكية بإسطنبول¹، وأمه زبيدة، من أسرة ريفية، وأمها مقدونية الأصل، و ينتمي مصطفى لأصول صربية. استقال والده من وظيفته الحكومية، مرضياً في ذلك طموح زوجته التي دفعته إلى ترك العمل الحكومي، والعمل بتجارة الأخشاب، لكن الحظ لم يحالفه في عمله، مما اضطره إلى إغلاق حانوته، وطارده الدائنون والمرابون.

كان مصطفى شرساً عنيداً في طباعه، وكان والده يأمل أن يصبح ابنه موظفاً مثله، بينما كانت والدته تتمنى أن يصبح ابنها إماماً أو "خوجه". التحق مصطفى بمدرسة دينية، و قطع في هذا الاتجاه شوطاً، حيث قضى فيها سنة واحدة، ورفض العودة إليها، ثم نقل إلى مدرسة جديدة استطاع فيها أن يتفوق على أقرانه في دراسة العلوم الحديثة، لكن الأمر لم يطل بمصطفى بمدرسته الجديدة، إذا توفي الأب عام (1890م) وهو مثقل بالديون، مما دفع والدته إلى مغادرة سالونيك مع ابنها مصطفى وأخته مقبولة إلى منزل شقيقها الفلاح في قرية لازاسان².

عاش مصطفى حياة الفلاحين في القرية، يرعى الماشية صباحاً و يعود بها مساءً إلى منزل خاله، يطرد الغريان عن المحاصيل الزراعية، ويقوم بتنظيف مراحيها، وتأمين أعلافها قبل النوم، وغيرها من الأعمال الشاقة التي يقوم بها، هذه الحياة الريفية لم تعجب مصطفى، وأراد التخلص منها و تغييرها، وظل يلح على والدته للانتقال إلى مدرسة عصرية في سالونيك، وساعدتها شقيقتها في العودة إلى سالونيك من أجل ذلك³، حيث كانت أختها في حالة ميسرة، فقامت بالإنفاق على مصاريف مصطفى في إحدى مدارس سالونيك، وبالفعل دخل مصطفى مدرسة عصرية في سالونيك، لكنه لم يبق طويلاً، لأنه ما لبث أن تشاجر مع أحد التلاميذ، واعتدى على ناظر المدرسة الذي حاول الفصل بينهما، فما كان من الأخير إلا أن طرده من المدرسة.

2.2 مسيرته العسكرية:

تأثر مصطفى كمال بالأحداث السياسية والحركات الثورية الناشطة داخل القوات المسلحة العثمانية، وشارك بالاجتماعات السرية التي كانت تناقش أحوال الدولة، وكيفية قلب نظام الحكم. لذا انضم مصطفى كمال إلى المدرسة العسكرية المجانية، بعد نقاش طويل بين والدته وخاله، وقرار الأخير في ادخاله هذه المدرسة، وكان عمر مصطفى آنذاك الخامسة عشر، حيث وجد نفسه، وأبدى فيها تفوقاً ملحوظاً ولاسيما في الرياضيات واللغة الفرنسية، وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره، أرسل إلى المدرسة العسكرية العليا "في موناستر"

¹ - مصطفى الزين - ذئب الأناضول - رياض الريس للكتب النشر - لبنان - 1991 - ص (17-20).

² - تهاني شوقي عبد الرحمن - نشأت دولة تركيا الحديثة (1918-1938) - القاهرة - 2011 - ص (87-88).

³ - ياسر حسن - تركيا (البحث عن المستقبل) - دار المصرية اللبنانية - القاهرة - 2006 - ص (25-30).

بمقدونيا، وبعد تخرجه من أكاديمية الحرب، التحق بكلية الأركان، وتخرج برتبة "يوزباشي" (نقيب) سنة (1905م)، وكان الأول على دفعته¹.

انخرط مصطفى بالسياسة، وانضم فيما بعد إلى جمعية ثورية ضد السلطان عبد الحميد و نظامه، لخنقه للحريات و قمعه للأفكار، وكانت تهاجم رجال الدين و الوعاظ، عرفت باسم "وطن"، وأصبح رئيساً لها، ثم كشفت المخابرات الحميدية أمر الجمعية، واعتقلت قيادتها، وعلى رأسها مصطفى كمال الذي زج بالسجن، ثم أفرج عنه، ثم انتقل للعمل في فرقة أركان الجيش في سالونيك في عام (1907م)، حاول تأسيس فرع لجمعية الوطن، ولكنه وجد منظمة ثورية في سالونيك تحت اسم "الاتحاد و الترقى"، انضم مصطفى كمال إلى إحدى شعب جمعية (الاتحاد و الترقى)، ولكنه أدرك فيما بعد إنه تورط في انضمامه إليها، فلم تكن سوى منظمة دولية سرية هدامة، تدور أحداثها حول اضطهاد اليهود في روسيا و في سواها من الدول الأوروبية، و كان كل ما يعنيه فقط إنقاذ تركيا من استبداد السلطان، و مطامع القوى الأجنبية، الأمر الذي كان سبباً في ابتعاده عن الجمعية.

خاض مصطفى حروباً عدة ضمن الجيش العثماني في البانيا وطرابلس والغرب، وأصبح قائداً لأركان الحرب عام (1909م)، و استطاع صد هجوم البلغار عن تركيا ثماني مرات، و عين بعد ذلك ملحقاً عسكرياً في صوفيا، و كان آنذاك برتبة أمير الاي (عقيد)، حيث اندلعت الحرب العالمية الأولى، ثم عاد إلى اسطنبول، و تصدى للإنجليز في مضيق الدردنيل عام (1915م)، حيث أطلق عليه لقب "بطل الدردنيل و منقذ العاصمة"، و رقي بسبب ذلك إلى رتبة جنرال.

اعترض مصطفى كمال على دخول الدولة الحرب العالمية الأولى، ودعا إلى التخلص من سيطرة الضباط الألمان على القوات المسلحة العثمانية، واستطاع استعادة مدن فان وبطليس وموش التي احتلتها القوات الروسية، بعد نشوب الثورة الروسية في روسيا في عام (1917م)².

عزل مصطفى من القيادة العسكرية بأمر من أنور باشا، بسبب اعتراضه على الخطة العسكرية التي اقترحها الجنرال الألماني فالكنهاين، باستعادة بغداد والهجوم على مصر، لوقف الزحف البريطاني. فعاد إلى اسطنبول وبقي فيها ثلاثة أشهر، ثم الحق بحاشية ولي العهد العثماني الأمير وحيد الدين، ثم عين مصطفى قائداً للجيش السابع في سوريا، ثم تسلم القيادة العسكرية في مدينة نابلس في عام (1918م)، ثم توجه إلى فلسطين ودمشق ومنها إلى حلب، وفي (1918/10/26م) وصلت قوات الأمير فيصل بن الحسين إلى حلب وهاجمت خط الدفاع التركي، لكن الحكومة التركية وقعت هدنة مدروس في (1918/10/30م)³.

3.2 إعلان الجمهورية التركية (1923م): شعر مصطفى كمال بالعزلة بعد ابتعاده أنصاره عنه، وخاصة المقربين منه، فقرر إعادة شعبيته فقام بجولة واسعة النطاق على المدن التركية، وسعى إلى تحويل "لجنة المقاومة الشعبية" إلى حزب سياسي موالي له، فأسس "حزب الشعب الجمهوري"، ومنح الحزب حكم البلاد مباشرة، وربط اللجان الشعبية بالحزب، وبه شخصياً باعتباره رئيس الحزب⁴.

¹ - علي محافظة - تركيا بين الكمالية والأردوغانية (1919-2014). - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان - 2015 - ص 20.

² - رضا هلال - السيف و الهلال، تركيا من أتاتورك إلى أربكان، الصراع بين المؤسسة العسكرية و الإسلام السياسي - دار الشروق - القاهرة - ص 52، ياسر حسن - مرجع سابق - ص 20.

³ - مصطفى الزين - مرجع سابق - ص 110.

⁴ - علي محافظة - مرجع سابق - ص 37.

وبعد عودة مصطفى كمال من جولته الواسعة في أنقرة، فرض الرقابة على الصحف وعلى الاجتماعات العامة، وحل المجلس الوطني الكبير بعد مضايقته له، وأجريت انتخابات نيابية جديدة في شهر ايلول سنة (1923م)، وعرض على المجلس تعديل الدستور بإعلان نظام الحكم الجمهوري. وقال أمام النواب: " نحن أمام طريق مسدود ثانية قد يؤدي إلى فوضى. لقد ألعينا السلطة، ولكن جمهورية تركيا يجب أن تعلن للعالم". وانتخب مصطفى كمال أول رئيس لها¹.

بدأت تركيا بالتحول إلى دولة عصرية، وشهدت تحولات اجتماعية وسياسية واقتصادية، وقد تضمن قرار إعلان الجمهورية أن شكل الدولة جمهوري ودينها الإسلام ولغتها التركية، ورئيس الجمهورية هو رئيس الدولة، ويتولى رئاسة المجلس الوطني ورئاسة الوزراء، ومن ثم قد يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء من أعضاء المجلس.

على الرغم من وصول الكمالين الحكم، وتعديلهم للدستور وإعلانهم الجمهورية، إلا أن التنافس بينهم وبين المحافظين لم يتوقف عند ذلك، وثمة إلى انقسام حاد بين النخب السياسية والثقافية والجيش حول طبيعة النظام السياسي وهوية الدولة².

هذه المعارضات الحادة نبهت مصطفى كمال إلى أهمية دور الموروث الاجتماعي ونظام القيم الراهن، لذلك لم يرد ان يؤسس الدولة على معايير الولاء والهوية والقيم نفسها التي رأى أنها شكلت أساس الدولة الفاشلة والمتسلطة والتي عمل هو نفسه على تفويضها.

4.2 وفاته:

قضى أتاتورك سنواته الأخيرة في قصر الدونمابهشي في مدينة اسطنبول، الذي يقع في الجزء الأوروبي الشمالي من مضيق البسفور، وقد قضى الشهور الأخيرة من حياته يعاني مرض تليف الكبد، حتى توفي في (10/11/1938م). شيعت جنازته إلى أنقرة بموكب عظيم ودفن في فيها مؤقتاً إلى أن شيد ضريح فخم نقلت رفاته إليه في عام (1953م)، ودفن بإسطنبول.

3. التعريف بمنهجية مصطفى كمال أتاتورك:

سعى مصطفى كمال لتأسيس تركيب الحديثة عن نهج واضح ومحدد، ووضع أمام عينيه خطة واضحة، ورسم طريق قويم يهدف إلى قطع صلات الاتراك بماضيهم العثماني الإسلامي، وربطهم بأوروبا الحديثة من خلال تقليد الأوروبيين في نظرتهم المتطرفة إلى الدين والالتزام بالعلمانية المعادية للدين. وفي لباسهم ومشروباتهم وتقاليدهم وعاداتهم.

أحدث مصطفى كمال شرخاً بين فئات المجتمع التركي، وأثار جدلاً دينياً سياسياً بين البيروقراطيين وضباط الجيش، والمثقفين ثقافة غربية من جهة، وفئات المجتمع المتمسكة بثقافتها الدينية وتقاليدها القومية وتراثها العثماني.

¹ - على محافظة - مرجع سابق - ص (38-39)، أحمد فيروز - صنع في تركيا الحديثة - ترجمة سليمان الواسطي و حمدي الدوري - بيت الحكمة - بغداد - 2000 - ص 124، خالد حنين وآخرون - الجراحة التجميلية للعمل الاسلامي - قراءة في تجربة حرب العدالة والتنمية - مركز الأمة للدراسات - عمان - 2004 - ص (18-19).

² - رضا هلال - مرجع سابق - ص (64-65)، تهاني شوقي عبد الرحمن - مرجع سابق - ص (230-231).

كذلك فرض مصطفى كمال وأنصاره سياسة التغريب والتحديث على المجتمع التركي بالقوة من خلال الجيش وسن القوانين والأنظمة التي تحقق ذلك¹.

4. أهم اصلاحات مصطفى كمال أتاتورك (السياسية، الدينية، الثقافية والفكرية، القانونية والاقتصادية)

1.4 اصطلاحات مصطفى كمال السياسية:

أراد مصطفى كمال تكوين دولة حديثة تتوافق مع متطلبات الحضارة المعاصرة، لذلك استمر في خطواته التحديثية في تركيا، ففي (1927/10/15م) أعلن مصطفى في المؤتمر الأول لحزب الشعب أن النظام السياسي في تركيا الحديثة يقوم على أربعة أركان :

1 - الجمهورية

2 - الملية (القومية).

3 - الشعبية.

4 - العلمانية.

وأضاف إلى هذه المبادئ في المؤتمر الثاني الذي عقد في سنة (1931م)، مبدأين هما: الدولية، والانقلابية واعتبرت هذه الأركان الستة دعائم الدستور التركي سنة (1937م)، حيث أصبحت تركيا بموجبه: "جمهورية، قومية، شعبية، دولية، انقلابية (ثورية)"². وهذا يعني ان النظام الجمهوري حل محل النظام الملكي (السلطاني العثماني)، والرابطة القومية (الملية) حلت محل الرابطة الإسلامية، والفكرة الشعبية كانت تهدف لتقليص نفوذ الارستقراطية العثمانية والملاك والإقطاعيين، والدولية تعني ان تكون الدولة هي وسيلة علمنة وتغريب وتحديث تركيا في كافة المجالات والنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والانقلابية وهي الثورة على كل ما هو سائد من الافكار والمؤسسات التي اعتبرت روتينية تقليدية متخلفة، والعلمانية تعني سيطرت الدولة على الدين وليس مجرد الفصل بين الدولة والدين³.

والعلمانية كمفهوم مشتقة من كلمة (Secular) أي العلماني (بفتح العين) غير الديني - غير اللاهوتي، وبالفرنسية (laicism) من (laic)، أي ما لا يدخل في إطار الإكليروس، وقد نشأ هذا المفهوم في أوروبا، وفرنسا بشكل خاص، وتطور ليصبح فكرة سياسية تولدت عن فصل الكنيسة عن الدولة، وقد تأثرت التجربة الأتاتوركية بالعلمانية الفرنسية، والواقع أن أتاتورك حاول استنساخ "اللانكية الفرنسية في مشروعه لتغريب تركيا، متأثراً بذلك عندما درس في الكلية العسكرية في طولون بفرنسا في نهاية القرن التاسع عشر⁴.

¹ - علي محافظة - مرجع سابق - ص 273.

² - أحمد فيروز - مرجع سابق - ص 246.

³ - علي محافظة - مرجع سابق - ص 50.

⁴ - رضا هلال - مرجع سابق - ص (90-91).

لقد ارتبطت العلمانية في الغرب بقيمتي المساواة وحرية الضمير، وهما قيمتان مرتبطتان بالديمقراطية، وبالتالي أدى ذلك إلى ارتباط الديمقراطية بالعلمانية، لكن بالمقابل كانت اللانكية الأتاتوركية، لانكية دولية، قامت على أساس إخضاع المجتمع للدولة، دون التعبير عن ذاتية المجتمع، فالمهم في مشروع الكمالية التوافق مع الغرب والانخراط فيه¹.

1.1.4 الجيش والديمقراطية

كان الجيش هو الوسيلة المباشرة التي نفذت الثورة العربية الكمالية، وكان له دور أساسي في تحديث وتغريب تركيا. لذلك أرسى مصطفى تقليدًا أن يكون الجيش هو حارس الثورة الكمالية وحاميها، دون الانخراط المباشر في الحياة السياسية، لذا فقد لجأ إلى تحييد الفعالية المباشرة للقادة العسكريين الذين يريدون العمل في السياسة، من خلال إصدار قانون يلزم الضباط الذين يرغبون في العمل السياسي أن يستقيلوا من الجيش عام (1921م)²، وقد ضمن القرار "تحييد الجيش عن العمل السياسي المباشر لفترة لاحقة". كما أكد مصطفى كمال على حرفية الجيش بعدم السماح لأفراده بالتصويت بالانتخابات، وجرم قانون العقوبات العسكري أي جندي يشارك في منظمة سياسية، أو مظاهرة أو يكتب أو يتحدث في المسائل السياسية، لكنه بالوقت نفسه منح الجيش دورًا في حماية الدستور، فقد جاء في المادة (35) من نظام القوات المسلحة التركية، مما يؤكد على واجب القوات في حراسة الحدود التركية وحمايتها، بالإضافة إلى حماية التعليم. واستمرت التقاليد العثمانية تقوم على تعيين قادة للجيش حكماءًا للولايات، فمصطفى كان رئيسًا للدولة وفي نفس الوقت قائدًا للجيش، ويحمل رتبة "مار يشال"³.

2.4 إصلاحات مصطفى كمال الدينية

1.2.4 إلغاء الخلافة

بعد أن تخلص مصطفى كمال من أعداء تركيا الأجانب اتجه في أنظاره لمحاربة أعدائه من الداخل، حيث كان يرى في الخلافة نظاما يقوم على المتاجرة بالدين، وتسخير لنشر الجهل والاستغلال والفقر، وأنه سبب ضعف وتخلف وتمزق تركيا، وهذا كان واضحًا فيما قاله إن غلطة آل عثمان وآل سلجوق من قبلهم، كانت نسيانهم لتركيتهم لانتمائهم للجامعة الإسلامية ونسيانهم جنسيتهم⁴. في عهد الجمهورية كان الإسلام بالنسبة للدولة ليس إلا دين الغالبية العظمى من السكان لا أكثر ولا أقل، ومع ظهور العلمانية التي أعلن عنها مصطفى كمال، تم فصل الدين عن الدولة⁵، بل لقد سيطرت الدولة على المجال الديني وليس مجرد الفصل، فقد أراد مصطفى الانفصال عن التراث الإسلامي للتوافق مع الغرب و الانخراط فيه، لذلك كان عليه لتحقيق مشروع التحديث، إلغاء السلطنة سنة (1922م)، ثم إعلان الجمهورية سنة (1923م)، ويتبعها إلغاء الخلافة سنة (1924م)، والخليفة "يجب أن يزول وكل شيء تركته الأسرة العثمانية، والمحاكم الشرعية والشريعة الإسلامية يجب أن تحل محلها محاكم حديثة، وقوانين حديثة. والمدارس الدينية يجب

¹ - أحمد فيروز - مرجع سابق - ص (140 - 141).

² - رضا هلال - مرجع سابق - ص (92 - 93).

³ - رضا هلال - مرجع سابق - ص (92 - 93).

⁴ - رضا هلال - مرجع سابق - ص (85 - 86).

⁵ - ياسر حسن - مرجع سابق - ص 45.

أن تديرها الدولة ومؤسساتها التعليمية. والجمهورية يجب أن تكون قومية وموحدة وعلمانية"¹ فلم يعد الإسلام وفق تلك الخطوة الأخيرة "الرابطة الجماعية"، ولم يعد الأمر تحديث الدولة الإسلام، بل إتباع خيار التحديث دون الإسلام²، خاصة بعد استخدام الحروف اللاتينية.

بعد إلغاء الخلافة، أصبحت كل المسائل و الأمور الدينية من عبادات و معاملات، تخضع لإدارة الشؤون الدينية تحت إشراف رئيس الوزراء، يُختار رئيس الوزراء مدير هذه الإدارة و يعينه رئيس الجمهورية، و بذلك أصبح رجال الدين موظفين تختارهم الدولة و تمنحهم رواتب، و الغيت المحاكم الشرعية سنة (1924م)، و هذا يعني إشراف الدولة المباشر على هذه المؤسسات الدينية، بدلاً من سلطنة شيخ الإسلام (المفتي) في العهد العثماني، حتى لا تبقى تركيا بمعزل عن العالم الغربي قام مصطفى بتغيير التقويم الهجري إلى التقويم الميلادي في (1/1/1926م)، وقد تبع ذلك إلغاء اعتماد الإسلام كدين رسمي للدولة في سنة (1928م)³.

استطاع مصطفى أن يتخلص من هذه المعارضة، وأن يجمع بيده جميع السلطات، فقد كان في الوقت نفسه رئيس الدولة ورئيس الحكومة، ورئيس الحزب الجمهوري الوحيد في البلاد.

وكذلك استطاع من خلال الانتصارات العسكرية التي حققها، ان يحافظ على وحدة تركيا وارضها واستقلالها، لأنه أنقذها من الوقوع في قبضة الاستعمار الأجنبي.

2.2.4 حظر الألبسة التقليدية العثمانية

تمشيًا مع سياسة التغريب والتغيير والتحديث، وسعيه لقطع صلة الأتراك بماضيهم العثماني وتراثهم الاسلامي، فرض مصطفى كمال لباس القبعة الأوروبية، ومنع أي غطاء للرأس غيرها تمشيًا مع الحضارة الأوروبية ورمزًا للتحرر والتقدم⁴.

وفي الوقت نفسه ألغى لباس الطربوش العثماني والقلبيق الشرکسي والعملة الكردية⁵، بدأ بنفسه أولاً فلبس القبعة، ثم فرضها على حرسه الخاص، ثم فرضها على الجيش التركي وعلى الشعب التركي، كخطوة عملية نحو تقدم الجيش وإظهاره بمظهر الجيش الحديث (الغربي)، وكان الطربوش منذ عهد التنظيمات رمزاً للثقافة العثمانية، وارتداه المسلمون والمسيحيون واليهود العثمانيون في الدولة العثمانية طوال قرنا من الزمن، وقد جاء إلغاء الطربوش في عام (1925م)، بمرسوم انتزعه أتاتورك من المجلس الوطني.

لم يتوقف الأمر عند ذلك، فقد أمر مصطفى شرطته وجيشه بمصادرة الطربوش عن رؤوس الناس بالقوة، وكل من يرفض ذلك يعرض نفسه للسجن والضرب، وقد صاحب قرار فرض القبعة، خسارة اقتصادية للتجار وأصحاب مصانع الطرايش، وارتفاع أسعار القبعات بنفس الوقت⁶.

¹ - علي محافظة - مرجع سابق - ص 40.

² - مصطفى الزين - مرجع سابق - ص 160.

³ - رضا هلال - مرجع سابق - ص 36.

⁴ - محمد علي قدری - مصطفى كمال اتاتورك (محرر تركيا ومؤسس دولتها الحديثة) - المطبعة الوطنية - 1983 - ص 299، تهناني شوقي عبد الرحمن - مرجع سابق - ص 299،

⁵ - مصطفى الزين - مرجع سابق - ص 249، محمد نور الدين - تركيا الجمهورية الحائرة (مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية) - مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق -

بيروت - 1998 - ص 26.

⁶ - تهناني شوقي عبد الرحمن - مرجع سابق - ص 300.

وفرض السفور على النساء في نهاية سنة (1926م)، ومنعهن من ارتداء الحجاب، بالإضافة إلى ذلك أصدرت المجالس البلدية قرارًا يحظر السيدات لبس (الجلباب)، وألزمهن لبس الفستان الأوروبي، وإلا قدم أزواجهن أو أقرباؤهن للمحاكمة¹.

3.2.4 إغلاق التكايا والزوايا الدينية

كانت الطرق الصوفية والتكايا والزوايا من المؤسسات الاجتماعية العثمانية، ومن أهم وسائل نشر الدين الإسلامي في الأناضول والدفاع عنه، وكان لهذه الطرق الدينية والتكايا دورًا مهمًا في التضامن الاجتماعي كمؤسسات خيرية وتربوية وتعليمية. كان لكل طريقة أتباع يطلق عليهم اسم الدراويش، يمارسون عبادتهم وتحصيلهم العلمي في تكيتهم أو في زاويتهم، التي تعتمد ماليًا على تبرعات المحسنين وأوقاف اتباعها². ولأن الحركة الصوفية كانت شعبية في الأساس، ظل هؤلاء الدراويش أصحاب الطرق الصوفية، ذو تأثير هائل بين جموع الشعب، وكانت مشاعر الإكبار والاحترام تحوطهم من جانب طوائف الشعب. كانت الطرق الدينية (الصوفية) منتشرة في جميع أنحاء تركيا من البكتاشية إلى النقشبندية إلى المولودية، والقادرية، والشاذلية، والنورسية وغيرها، وقد قامت بالتظاهر وإثارة العصبية، والاجتماعات السرية ضد الحكومة الأتاتورية الجديدة، وخصوصًا الطريقة الرفاعية والشاذلية.

ونظرًا لأن هذه الطرق كانت تعارض بشدة توجهات الغازي التغريبية، وتؤلف سدى المجتمع التركي بما لها من تكايا وزوايا ومؤسسات خيرية وتربوية وأوقاف، فقد حاربها بقوة وأصدر مرسومًا في تشرين الثاني (1925م)، بعد خطابًا ألقاه في مدينة "قسطنطيني"، أكد في خطابه هذا على دور الحضارة المبنية على العلم، وأنه لا بد من القضاء على الجهل والتخلف، وعلى المشايخ أن يغلقوا زواياهم وتكايهم عن طيب خاطر وإلى الأبد قبل أن ادمرها فوق رؤوسهم³.

وقد تضمن هذا المرسوم الذي استصدره مصطفى كمال عدة مراسيم:

- إغلاق الزوايا والتكايا الموجودة في تركيا سواء كانت وفقًا أو ملكًا لمشايخها:
- إلغاء كل أنواع الطرق الصوفية ومشايخها وإلغاء ألقاب الدراويش: المريد، والأستاذ، والسيد، والجلبي، والبابا، والنقيب، والخليفة، والعرافة، وكذلك حظر السحر والتنجيم وكتابة التعاويذ والأحاجي والتمائم.
- حظر استعمال عناوين وصفات أزياء تدل على تلك الطرق⁴.
- إغلاق جميع المزارات وقبور السلاطين والأولياء ومشايخ الطرق.
- يحكم على كل من يخالف هذه القرارات بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وغرامة لا تقل عن خمسين ليرة تركية⁴.
- رفض الدراويش العمل بهذه المراسيم، وقاموا باحتجاجات ومظاهرات، رفضوا من خلالها إلغاء الطرق الدينية وإغلاق التكايا، مما دفع بمصطفى كمال إلى شن هجوم عليهم، وقال: "ان طلب العون من الميت عار على المجتمع المتمدن".

¹ - رضا هلال - مرجع سابق - ص 76، مصطفى الزين - مرجع سابق - ص 177.

² - تهاني شوقي عبد الرحمن - مرجع سابق - ص (296-297).

³ - أحمد السعيد سليمان - التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة - دار المعرفة - القاهرة - 2011 - ص 35.

⁴ - رضا هلال - مرجع سابق - ص 71.

أكد مصطفى كمال فيما سبق ان تركيا ليست وطن لهؤلاء الدراويش والإخوان، وان التكايا تزيد من استغلال الشعب¹.

3.4 اصلاحات مصطفى كمال الثقافية والفكرية:

اتجه مصطفى كمال الى تحديث التعليم، فقد كان التعليم في العهد العثماني قائما على المدارس الدينية والمدارس المدنية على النمط الأوروبي، وهنا قاد عملية تغريب التعليم في مرحلتين:

المرحلة الأولى التي بدأت سنة (1924م) بصدر قانون توحيد المدارس، وربط جميع المدارس الدينية والغير دينية والرسمية والخاصة لوزارة المعارف. كما أوكل إلى الوزراء إنشاء كلية للإلهيات في الجامعة متخصصة في الأمور الدينية، وإنشاء مدارس خاصة لتخريج الأئمة والخطباء.

وبدأت المرحلة الثانية في تحديث التعليم بتغير الحروف في كتابة اللغة التركية من العربية الى اللاتينية في سنة (1928م) ، ونص القانون المذكور إلى إغلاق المدارس الدينية التي كانت تعد رجال الدين وتمول من الهبات والأوقاف الخاصة، وتغيير التقويم السنوي الهجري والرومي إلى التقويم الميلادي في سنة (1926م)². وقال في هذا الصدد: "إننا اعترفنا بوجوب اتخاذ جميع أسلحة الغرب المدنية، فيجب علينا ان نكون منصفين في اتباع الطرق المؤدية إلى خيرنا، وبخاصة فيما يتعلق بلغتنا، فقد أخذنا عن الشرق عاداته ولغته وأحرفه، فلم نستفد مما أخذناه إلا الرجوع إلى الوراء، والتقهقر المتتابع في عاداتنا وأخلاقنا، لذا يجب ان نطرح عنا جانبا الأحرف العربية ونستبدل بها أحرف لاتينية"³.

وتنفيذاً لهذه المرحلة، كلف مصطفى كمال لجنة من الأساتذة بكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية، وبدأ بنفسه أولاً حيث طبق الانقلاب على الحرف العربي، و طلب من المجلس الوطني مرافقته إلى اسطنبول، والتقى بهم في قصره الدونما بهشي، حتى يعلمهم كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية، وتجول الغازي في المدن والقرى التركية، يشرح للناس طريقة الكتابة الجديدة، ثم أمر بترجمة القرآن إلى اللغة التركية، وتلاوة الصلاة باللغة التركية، ولما ثار عليه رجال الدين والعلماء، كان رده عليهم: "الا يفهم الله اللغة التركية"⁴.

وطلب من كل تركي ان يتخذ اسم عائلة ينتسب اليها، وسمى نفسه أتاتورك (أبو الأتراك)، وقرر رفع الأذان للصلاة باللغة التركية في (1933/11/3م).

وفي عام (1953م) ألغى مصطفى كمال يوم الجمعة كعطلة اسبوعية، وأحل محله يوم الأحد، كما ألغى مادة في الدستور التركي تنص على ان "الإسلام دين الدولة" سنة (1938م)⁵.

4.4 اصلاحات مصطفى كمال القانونية

¹ - رضا هلال - مرجع سابق - ص 72.

² - على محافظة - مرجع سابق - ص 48.

³ - رضا هلال - مرجع سابق - ص (73-74).

⁴ - سليم الصويص - أتاتورك (منقذ تركيا وباني نهضتها - شلنر - عمان - ص(254-255).

⁵ - محمد علي قدري - مرجع سابق - ص 39.

عرفت الدولة العثمانية خلال عصر التنظيمات عدة قوانين مستمدة من القوانين الأوروبية، كان من بينها القانون التجاري عام (1850م) والذي استمد من القانون الفرنسي، وكذلك قانون الجزاء العثماني عام (1858م)، أيضًا مستمدًا من قانون العقوبات الفرنسي، واستحدثت محاكم مدنية على النمط الغربي، للنظر في القضايا المدنية التي تخص غير المسلمين، بينما استمرت المحاكم الشرعية تنظر في القضايا المدنية للمسلمين¹.

في ظل هذه الحكومة العلمانية، ألغى مصطفى كمال مجلة الأحكام العدلية، التي كانت تعتبر أساسًا للقانون المدني في الدولة العثمانية في عام (1926م)، وأصدر قانونًا مدنيًا تركيًا مستمدًا من القانون المدني السويسري في نفس العام، وقد احتوى هذا القانون على (448) مادة، تضمنت موضوعات حقوق الشخص والأشخاص المعنويين، والزواج، الطلاق، النفقة، النسب، التبني، الميراث، وغيرها من الموضوعات². وبموجب هذا القانون، منع تعدد الزوجات، وأباح للمرأة المسلمة الزواج من غير المسلم، مثلما أباح الزواج بين الأخوة في الرضاعة، كذلك ساوى القانون بين الذكر والأنثى في الميراث، كما أعطى الحق لكل من الزوجين برفع قضية طلاق بسبب زنا الآخر، أو محاولة الآخر اغتياله، أو معاملة سيئة أو بسبب سوء العشرة بين الزوجين، عندها يجب الحكم بالطلاق إذا تأكدت إحدى تلك الأسباب، كما جعل القانون من حق الأب الاعتراف بولده في غير فراش الزوجية و ينسبه له، وكذلك الأمر نفسه بالنسبة للزوجة فلها الحق برفع قضية تعيين والد لولدها الذي تلده في غير فراش الزوجية، و أيضًا من حقها رفع قضية تطالب بنفقة لها و لولدها، ولو كانت متزوجة من آخر .

5.4 اصلاحات مصطفى كمال الاقتصادية:

من خلال مبدأ الدولة، أخضع مصطفى كمال السياسة والمجتمع للدولة، ولم يتوان عن إخضاع الاقتصاد لها في مشروعه لتحديث تركيا³ في المرحلة الأولى كان تدخل بصورة غير مباشرة في العشرينات من القرن العشرين، من خلال تشجيع الدولة للرأسمالية المحلية لبناء قاعدة اقتصادية متينة، لكن هذه السياسة الاقتصادية في هذه المرحلة باءت بالفشل⁴. وفي المرحلة الثانية، وخلال عقد الثلاثينات، رفض مصطفى كمال أن تبقى تركيا الجديدة مستعمرة اقتصادية للأجانب، لأنهم لم يفرقوا بين السيادة السياسية والسيادة الاقتصادية، لذا سمح لهم مصطفى كمال بالاستثمار شريطة أن لا يرتبط ذلك بقيود سياسية أو اقتصادية، وتحول التدخل للدولة من غير المباشر إلى المباشر في الاقتصاد، وعملت الدولة على تشجيع الرأسمالية المحلية في الصناعة والزراعة والتجارة.

وعلى الصعيد الزراعي، اتخذت الحكومة التركية عدة إجراءات لتشجيع رأس المال الخاص في الريف، فاللغات ضريبة العشر سنة (1925م)، ووزعت الاراضي على الفلاحين الذين ليست لديهم اراض من خلال القوانين التي صدرت سنة (1927م، 1929م)، وزودت الحكومة المزارعين بالبذور المحسنة، وقدمت لهم مرشدين زراعيين في القرى. وقام هؤلاء بتدريب الجنود على الزراعة خلال

¹ - رضا هلال - مرجع سابق - ص 73.

² - سليم الصويص - مرجع سابق - ص (241 - 242).

³ - تهاني شوقي عبد الرحمن - مرجع سابق - ص 328.

⁴ - على محافظة - مرجع سابق - ص 52.

مدة خدمتهم العسكرية. وشجعت الحكومة على استعمال الآلات الحديثة في الزراعة، وإنشاء التعاونيات للائتمان الزراعي وتسويق المنتجات¹.

وعلى الصعيد الصناعي، صدر "قانون تشجيع الصناعة" سنة (1927م)، بهدف منح امتيازات وإعفاءات ضريبية للمشروعات الصناعية. وتضمن القانون أيضاً أن تمنح تلك المشروعات مساحات أرض مجانية (10 هكتارات للمشروع)، وإعانات مالية (10%) من القيمة السنوية، للإنتاج)، وإعفاء منتجاتها من جميع الضرائب².

وعلى الرغم من تشجيع الدولة للرأسمالية المحلية في قطاع الصناعة والزراعة، إلا أن أزمة الكساد العالمي التي جاءت بنهاية العشرينات، تركت أثراً واسعاً في الاقتصاد التركي (المتدمج في الاقتصاد العالمي)، حيث تدهورت صادرات تركيا، ونقص النقد الأجنبي اللازم لاستيراد المعدات الرأسمالية ومستلزمات الصناعة أمام هذا المآزق، تحولت الدولة في مرحلة ثانية إلى التدخل المباشر في الحياة الاقتصادية، حيث قامت الدولة بتأميم معظم الشركات الأجنبية، والخدمات العامة كالسكك الحديدية ووسائل النقل الأخرى والموانئ والمناجم والمصانع المملوكة للأجانب، ولجأت إلى التخطيط الحكومي، حيث بدأت الخطة الخمسية الأولى عام (1932م)، من خلال وزارة الصناعة وبنك الاعتماد الصناعي، واستهدفت هذه الخطة إنشاء مصنع للفولاذ ومصنع للورق والسليلوز، ومعمل للإسمنت وستة معامل كيماوية، وسبعة مصانع للنسيج ومصنع السكر³.

أما الخطة الخمسينية الثانية التي بدأت عام (1938م)، فكان هدفها إنشاء صناعات ثقيلة بالاعتماد على المواد الأولية المحلية وتطوير مواد الطاقة من فحم وكهرباء ونقل بحري وسكك حديدية، وإنشاء مئة مصنع حديد مقابل عشرين مصنعاً في الخطة الخمسية الأولى، وإنشأت الدولة مصرفين لتمويل الصناعة، المصرف الأول هو بنك سومر سنة (1933م)، لتمويل مصانع الدولة، والتخطيط لإنشاء مشاريع صناعية جديدة والمشاركة فيها، أما المصرف الثاني فهو بنك آيتي سنة (1935م) لاستخراج وشراء المعادن، واستكشاف البترول، وإنتاج الطاقة الكهربائية .

وفي قطاع الزراعة، تواصلت سياسة "الدولية" واستهدفت الخطة الخمسية دعم التعاونيات في الائتمان الزراعي التي بلغ عددها (572) تعاونية، وإنشاء مؤسسة لشراء المحاصيل من الفلاحين سنة (1932م)، ثم قيام دائرة إنتاج الأراضي التي توسعت في شراء المنتجات الزراعية، وفي عام (1937م) اعتمدت الدولة خطة لأربع سنوات لتطوير الزراعة.

5. خاتمة:

أراد مصطفى كمال بالإصلاحات التي قام بها، جعل الأتراك قطعة من الحضارة الغربية، وجزءاً من أوروبا، وفصل تركيا عن العالم الإسلامي والأمة العربية .

¹ - رضا هلال - مرجع سابق - ص (76-77)، على محافظة - مرجع سابق - ص 54.

² - رضا هلال - مرجع سابق - ص 76.

³ - رضا هلال - مرجع سابق - ص (76-77).

كذلك تنفيذ نظام سياسي واجتماعي غربي لا ديني منفصل عن الإسلام، والشرعية والقيم والمعتقدات الإسلامية التي عرفتھا الدولة العثمانية أكثر من أربعمئة عام .

ومما يجدر الإشارة إليه، ان مصطفى كمال الذي فهم الأوروبية على أنها قطع مع الماضي الإسلامي لتركيا، لم يستطيع ان يتجاوز الإرث الثقيل للعداء المتبادل بين تركيا وأوروبا، وإن رغبته في الانتماء إلى أوروبا، اكتفت بالأخذ ببعض المظاهر الاجتماعية والقانونية، ولم تلامس الكثير من العناصر المكونة للحضارة الأوروبية .

غير أن السؤال الذي يطرح نفسه، هل ستستمر الأتاتورية في منهجيتها أمام التحولات الجذرية العميقة التي نشاهدها اليوم في المجتمع التركي ورغبة حزب العدالة والتنمية في التغيير؟!!